الرحمة

العدد الثاني عشر

شعبان 1436

مجلة إرشادية تصدرها اللجنة العلمية بمسجد الرحمة

في هذا العدد

* وظائف شهر شعبان

* صيام التطوع في شهر شعبان

-فضائله وأحكامه

* تحذير الإخوان من هجران القرآن

* الحداثة .. مذهب فكري هدام

* آداب المسجد (الحلقة الثانية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه ونَسْتَعِينُه ونَسْتَغْفِرُه، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنْفُسِنَا ومنْ سَيِّئَاتِ أعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له.

وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [سورة آل عمران].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [سورة النساء].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [سورة الأحزاب].

أمَّا بَعْدُ:

فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتُهَا، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

■■■

مجلة الرحمة

الرحمة

(الرحمة) مجلة إرشادية تعليمية دعوية تصدر عن اللجنة العلمية بمسجد الرحمة بإشراف الشيخ الإمام الأستاذ **عز الدين عوير** خطيب مسجد الرحمة

مجلة (الرحمة) وسيلة لنشر العلم الصحيح.

مجلة (الرحمة) طريقة من طرق الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

مجلة (الرحمة) تهدف إلى:

- تعليق القلوب بالله جل وعلا.
- تعريف الناس بالحقائق الشرعية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة.
- الدلالة إلى الأعمال الصالحة، والتبصير بالضوابط الشرعية التي يصح العمل ويستقيم بها.

في تمام السنة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور نفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فهذا هو العدد الثاني عشر من مجلتنا مجلة الرحمة، وبه تكون قد أتمت عاما كاملا من عمرها. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وإننا نسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى أن يبارك فيها، وينفع بها قارئيها والقائمين على إصدارها ونشرها.

كما نسأله سبحانه أن يبارك في كل من أسهم في إعدادها وطباعتها ممن أمدونا بالتجهيزات واللوازم، أو بالنصح والتوجيه، أو بالدعاء، فاللهم بارك فيهم وبارك لهم في دينهم وأموالهم وأهليهم واجزهم خير الجزاء.

ونحن دائما في انتظار نصائح إخواننا القراء الكرام وما يبدون لنا من ملاحظات ويقترحون من آراء، وما وضعنا عنوان بريدنا الإلكتروني إلا لذلك.

و لا يفوتنا أن نذكر إخواننا الراغبين في الحصول على النسخ الإلكترونية (بصيغة: PDF.) من كل الأعداد السابقة، أن يرسلوا لنا رسالة على بريدنا الإلكتروني كي ندرجهم ضمن قائمة الإرسال لنوافيهم بعد ذلك بكل جديد.

والله وحده الهادي إلى سواء السبيل

madjallaherrahma@gmail.com

وظائف شهر شعبان

بقلم فضيلة الشيخ عز الدين عوير

أما بعد، فقد أَظَلَّنَا أيها المؤمنون والمؤمنات شهرٌ فيه خير كبير وأجر وَفِيرٌ، هو شهر شعبان، الذي هو بين رجب ورمضان، فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُهِلَّهُ علينا بالأمْن والإيمان والسِّلْم والإسلام وبالتوفيق لِما يُحِبُّ ويرضى. ولأجل ما فيه من الفضل العظيم فقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِر فيه من عبادةٍ هي من أجل العبادات وأعظمِها أجرا، ألا وهي الصيام الذي قال فيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى إِلاَّ بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنْ النارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا »(١).

وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر من الصيام في شهر شعبان، لأنه شهر يَغْفُل الناس فيه عن العمل الصالح، وفيه ترفع أعمال بني آدم – وهو الرَّفْعُ السَّنَوِي – إلى رب العالمين – وهو أعلم بها قبل أن تُرْفع وقبل أن نعملها﴿ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ (٢) ولكن ليحصيها لنا– ، فعن أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : قلت يا رسول الله لم أَرَكَ تصوم من شهرٍ ما تصوم من شعبان؟ قال : « ذاكَ شهرٌ يَغْفُلُ الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهرٌ تُرْفَعُ فيه الأعمالُ إلى رب العالَمين، وأُحِبُّ أن يُرْفَعَ عملي وأنا صائم» (٣).

(١) – رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ
(٢) – سورة الحديد – الآية ٢٢
(٣) – رواه النسائي. وهو حسن.

إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْشِدُنا إلى الإكثار من الصيام في شعبان لأَنَّ أعمالَنا تُرفع إلى رب العالمين في هذا الشهر، والأفضل لنا أن تُرفع أعمالُنا ونحن مُتَلَبِّسُونَ بطاعةِ الصيامِ حتى تَحْظَى أعمالُنا بالقَبُولِ عند الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك قالت أمُّ المؤمنين عائشةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا : «لم يكن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِشَهْرٍ أكثرَ صياما منه لِشعبان، كان يصومه؛ أو عامَّتَه»[٤]. فهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حرصه الشديدِ على أن ترفع أعماله وهو صائم، كان يصوم جُلَّ شعبان وأكثره. فقد جاء في صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما علمته - يعني النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صام شهرا كله إلا رمضان».

كل ما سبق يبين لنا فضل الصيام في هذا الشهر المبارك، وهذا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- يكثر الصيام فيه على خلاف باقي الشهور، فنحن أولى بالإكثار من الصيام فيه لأن صحائفنا مَلْأَى[٥] بالسيئات، فقيرة من الحسنات، وأعمالنا الصالحة فيها تقصير كبير. فالأحرى بنا والأجدر أن نقتدي بنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنكثر من الصيام في هذا الشهر عسى أن تقبل أعمالنا عند مَلِيكِنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

] ومن حكم تشريع الصيام في شعبان غفلة الناس عنه لاِنْشِغَالِهِم بتعظيم شهر الله الحرام رجب وشهر رمضان المبارك. فشهر رجب لا فضل فيه من حيث زيادةُ الأعمالِ الصالحة على غِرَارِ غيره من الشهور، اللهم إلا كونه من

(٤) - رواه النسائي. وهو صحيح.
(٥) - يعني: مملوءة.

الأشهر الحرم التي قال الله تعالى فيها ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [٦].

فتشريع الصيام في شعبان دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، وفي ذلك فوائد: منها: أنه يكون أخفى، وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل لا سيما الصيام فإنه سر بين العبد وربه، ولهذا قيل إنه ليس فيه رياء. ومنها: إنه أشق على النفوس، وأفضل الأعمال أشقها على النفوس، وسبب ذلك أن النفوس تتأسى بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس، فإذا كثرت يقظة الناس وطاعتهم كثر أهل الطاعة لكثرة المقتدين بهم فسهلت الطاعات، وإذا كثرت الغفلات وأهلها تأسى بهم عموم الناس، فيشق على نفوس المستيقظين طاعتهم لقلة من يقتدون بهم، ولهذا المعنى قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «للعامل منهم أجر خمسين منكم، إنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون». وقال: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ» وفي رواية: قيل: ومن الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس». وفي صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «العبادة في الهرج كهجرة إلي» وخرجه الإمام أحمد ولفظه: «العبادة في الفتنة كالهجرة إلي» وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين فيكون حالهم شبيها بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنا به متبعا لأوامره مجتنبا لنواهيه.

---

(٦) – سورة التوبة – الآية ٣٦

ومنها: أن المفرد بالطاعة من أهل المعاصي والغفلة قد يدفع البلاء عن الناس كلهم فكأنه يحميهم ويدافع عنهم. قال بعض السلف: «ذاكر الله في الغافلين كمثل الذي يحمي الفئة المنهزمة ولولا من يذكر الله في غفلة الناس؛ لهلك الناس».

لولا الذين لهم وِرْدٌ يُصَلُّونَا وآخرون لهم سَرْدٌ يَصُومُونَا
لَدُكْدِكَتْ أرضُكم من تَحْتِكُمْ سَحَرَا لأَنَّكم قومُ سوءٍ ما تُطِيعُونَا

وفي صوم شعبان معنى آخر: أن صيامه كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة بل قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبله حلاوة الصيام ولذته فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط، كما هو الحال مع السنن الرواتب مع الصلوات المفروضات. ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان؛ شرع فيه ما شرع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن، ليحصل التأهب لتلقي رمضان، وترتاض النفوس بذلك على طاعة الرحمن. وقال سلمة بن كُهَيْلٍ: «كان يقال شهر شعبان شهر القُرَّاءِ». وكان حَبِيبُ بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: «هذا شهر القراء». وكان عَمْرُو بن قَيْسٍ الْمُلاَئِيُّ إذا دخل شعبان أغلق حَانُوتَه وتَفَرَّغَ لِقِرَاءَةِ القرآن.

فيا من فَرَّطَ في الأوقات الشريفة وضيعها وأودعها الأعمال السيئة وبئس ما استودعها

مضى رجب وما أحسنت فيه   وهذا شهر شعبان المبارك
فيا من ضيع الأوقات جهلا   بحرمتها أفق واحذر بوارك [٧]
فسوف تفارق اللذات قسرا   ويخلي الموت كرها منك دارك
تدارك ما استطعت من الخطايا   بتوبة مخلص واجعل مدارك
على طلب السلامة من جحيم   فخير ذوي الجرائم من تدارك

انتهى من (لطائف المعارف فيما لشهور السنة من الوظائف) لابن رجب الحنبلي - رحمه الله تعالى -.

---

(٧) - بَوَارَكَ: هَلاَكَكَ.

صيام التطوع في شهر شعبان

فضائله وأحكامه

بقلم فضيلة الشيخ عبد الحميد عوير

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فمن الأعمال الصالحة التي يُسْتَحَبُّ للمؤمن الإسْتِكْثَارُ منها، والاهْتِمَامُ بِها قبل رمضانَ، صيامُ النَّفْلِ في شهرِ شعبانَ، ومِمَّا ورد في فضلِه، ما رَوَتْه أمُّ المؤمنين عائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: «كان رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يصومُ حتى نقول: لا يُفْطِرُ، ويُفْطِرُ حتى نقول: لا يصومُ، فما رَأَيْتُ رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ اسْتكْمَلَ صيامَ شهرٍ إلا رمضانَ، وما رأيتُه أكثرَ صيامًا منه في شعبانَ»[1] .

وعنها رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: «لم يَكُنْ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يصومُ شهرًا أكثرَ من شعبانَ؛ فإنه كان يصوم شعبانَ كُلَّهُ»[2]، وفي رواية مسلم: «كان يصومُ شعبانَ إلا قليلاً» .

فَدَلَّ هذان الحَدِيثَانِ على استحباب الإكثار من الصوم في هذا الشهر؛ لفعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. وكونِ صيامه في هذا الشهر أكثر من غيره يدل على زيادة العناية بصيام التطوع في هذا الشهر، وعلى فضله على غيره.

---

(١)-رواه البخاري ومسلم.
(٢)-رواه البخاري ومسلم.

وقد ورد في سبب ذلك ما رواه أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟! قال: «**ذلك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم**»»[٣].

قال ابنُ عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التمهيد (٢١/ ١٦٤): "صيام غير شهر رمضان نافلةٌ وتطوع، والصيام سنة وفعْلُ خير وعملُ بر، فمن شاء استقلَّ، ومن شاء اسْتَكْثَرَ".

فلا ينبغي للمسلم أن يفوته صيام شيء من أيام هذا الشهر؛ ليدرك هذا الفضل، وينال أجر الصوم، وتصيبه بركة الاقتداء بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولكن عليه أن يمسك عن الصوم قبل رمضان بيوم أو يومين؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، إلا رجل كان يصوم صوما فليصمه**»[٤].

والحكمة من ذلك الفصل بين الفرض والنفل، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستذكار (٣/ ٣٧١): "واستحب ابن عباس وجماعة من السلف – رحمهم الله – أن يفصلوا بين شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ بِفِطْرِ يَوْمٍ أو أَيَّامٍ كَمَا كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَفْصِلُوا بَيْنَ صَلَاةِ الفَرِيضَةِ وَالنَّافِلَةِ بِكَلَامٍ أو قِيَامٍ أو مَشْيٍ أو تَقَدُّمٍ أو تَأَخُّرٍ من المكانِ".

ويستثنى من ذلك حالتان:

---

(٣)–رواه أحمد والنسائي وحسنه الألباني.
(٤)–رواه البخاري ومسلم.

الأولى: إن صادف ذلك صوما كان يصومه العبد، كَمَنْ عادتُه صيام الاثنين والخميس، فصادف آخر شعبان، فلا حرج عليه في الصوم.

الثانية: من عليه قضاء واجب، فإنه يُتابِع إلى آخر الشهر.

وهذا مذهب جمهور الفقهاء، وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ من لم يكن من عادته الصوم، فإنه بانتصاف شعبان يجب عليه الكَفُّ عن الصوم؛ استدلالا بما رُوِيَ عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**إذا انتصف شعبان فلا تصوموا**» (٥)، ولكن الذي يظهر أن هذا الحديث ضعيف لا يثبت، ولو صححه من صححه من أهل العلم، فقد ضعفه أئمة كبار، كابن مهدي وأحمدَ وأبي زُرْعَةَ وابن رجب والذهبي، والعلم عند الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ. وعليه فيجوز للمسلم الصيام بعد منتصف شعبان، ولا حرج عليه، ولكن يتوقف عن الصيام، قبل يوم أو يومين من رمضان، لِنَهْيِ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن تقدم رمضان بصيام يوم أو يومين، كما سبق، والله أعلم.

فعلى المؤمن أن يستغل هذا الشهر في الإكثار من صوم التطوع؛ لما فيه من الفوائد، ومن ذلك:

١/ أنَّ الصوم من الأعمال الصالحة التي يحبها الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ويجزي عليه ما لا يجزي على غيره من الأعمال، ففي الحديث القدسي: «قال الله تعالى: «**كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به**»».

(٥)-وللشيخ حفظه الله بحث هام حول هذا الحديث كنا قد نشرناه في العدد الأول من مجلتنا هذه (شهر شعبان ١٤٣٥هـ). فمن رام زيادة تفصيل فليرجع إليه.[مجلة الرحمة]

٢/ أن هذا الصيام كالسُّنة الراتبة قبل الصلوات المَفْرُوضات، والصيام في شوال كالراتبة بعدها.

٣/ التعود على الصيام، فيسهل على العبد الصوم في رمضان.

٤/ الاستكثار من الحسنات، فما أحوجنا لذلك.

٥/ أن يُظْهِرَ العبدُ لِرَبِّهِ صدقَ رغبته في الخير، وأنه لا يَتبَرَّمُ ولا يتضايق من الصيام.

٦/ الاقتداء برسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

والله أعلى وأعلم، وأجل وأكرم،

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك،

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تحذير الإخوان من هجران القرآن

مقتبس من مقالة بنفس العنوان بقلم الشيخ نجيب جلواح، نشرتها مجلة الإصلاح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان شُرِع فيه ما يُشْرَع في رمضان من الصيام **وقراءة القرآن**؛ ليحصل التأهب لتلقي رمضان وتَرْتَاضَ النفوسُ بذلك على طاعة الرحمن. قال سَلَمَةُ بن كُهَيْل: كان يقال: «شهر شعبان شهر القُرَّاء». وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: «هذا شهر القرّاء». وكان عَمْرُو بن قيس الملائي إذا دخل شعبان أغلق حانوتَه وتفرّغ لقراءة القرآن»(١) .

وطلبا للاقتداء بأولئك الأخيار ارتأينا أن نُسَوِّدَ بعضَ الكلمات في الحض على العناية بالقرآن والترهيب من هجرانه، لعل الله تبارك وتعالى ينفع بها راقمها وقارئها. والله وحده الهادي إلى سواء الصراط.

أنزل الله سبحانه وتعالى على سيِّد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم خير كتبه وأعظمها ـ القرآن الكريم ـ؛ فيه الهدى والنُّور: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ

(١)- لطائف المعارف : ص١٩٦

﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى:٥٢].

وأمر الله ﷻ عباده أنْ يتمسَّكوا به ليهتدوا، وإلاَّ كانوا في ضلالٍ مبينٍ، فقال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وحبلُ الله الممدود مِن السَّماء إلى الأرض: هو القرآن العظيم، وبه فسَّره رسولُنا الكريم ﷺ؛ فعن زيد بن أرقم ـ مرفوعًا ـ: «كِتَابُ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ هُوَ حَبْلُ اللهِ؛ مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلالَةٍ»(٢) .

ولـمَّا هَجَرَتْ قريش كتابَ الله ﷻ، وأعرَضوا عمَّا فيه مِن الهدى، شكاهم نبيُّنا ﷺ إلى ربِّه ﷻ، فقال ﷻ ـ حاكيًا قولَه ـ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان:٣٠]. وعبَّر عن قريش بـ (القَوم)؛ فقال: ﴿إِنَّ قَوْمِي﴾: زيادةً في تَشْنِيعِ صَنِيعِهم معه؛ لأنَّ مِن شأنِ قومِ الرَّجُلِ أنْ يُوافِقُوه، لا أنْ يخالفوه، وأنْ يُصدِّقوه، ولا يُكذِّبوه.

وفي هذه الشِّكاية مِن رسول الله ﷺ: تخويفٌ عظيمٌ لقومه، وترهيبٌ لهم؛ لأنَّ أنبياءَ الله ورسلَه عليهم السلام كانوا إذا شَكَوْا قومَهم إلى ربِّهم حلَّت بهم نِقمة اللهe، وعجَّل لهم عذابه، ولم يُنْظَروا، وفي هذا وعيدٌ شديدٌ لكلِّ مَن كان هاجرًا للقرآن، بأيِّ وجهٍ مِن وُجوه الهجران (٣). وتجدرُ الإشارة ـ هنا ـ إلى أنَّ هذه الآية ـ آية الشَّكوى ـ، وإنْ

(٢)- رواه مسلم (٢٤٠٨).
(٣)-قال الله تعالى بعد تلك الآية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان:٣١] وقد استدلَّ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله بهذه الآيات على أنَّ هاجر القرآن: مِن أعداء النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ فقال: «فبيَّن أنَّ مَن هجر القرآن: فهو مِن أعداء الرَّسول، وأنَّ هذه العداوة أمرٌ لابدَّ منه، ولا مَفرَّ عنه» [«مجموع الفتاوى» (٤/ ١٠٦)].

نزلت في حقِّ المشركين، وفي هجرهم للقرآن الكريم وكفرهم به، غير **أنَّ نَظْمَها ممَّا يُرهب ويُخيف عموم الهاجرين لكتاب الله ﷻ وإنْ كانوا به مِن المؤمنين.**

قال الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله: «وفي حِكاية القرآن لهذه الشَّكوى: وعيدٌ كبير لِلْهَاجِرِينَ، بإنزال العقاب بهم، إجابةً لشكوى نبيِّه، ولـمَّا كان الهجرُ طبقاتٍ؛ أعلاها عَدَمُ الإيمان به، **فلِكلِّ هاجر حظُّه مِن هذه الشَّكوى وهذا الوعيد.** ونحن ـ معشر المسلمين ـ قد كان منَّا للقرآن العظيم هجرٌ كثيرٌ في الزَّمان الطَّويل، وإنْ كنَّا به مؤمنين»[٤].

ولقد حذَّر الله ﷻ مِن الإعراض عن القرآن فقال: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ [فُصِّلَت:٣-٤].

وتوعَّد من يفعل ذلك؛ فقال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ [طه:٩٩-١٠١].

فعلى ضوء ما أورَدَتْه كتبُ التَّفسير، يُعلم بأنَّ هجر القرآن ـ أو الإعراض عنه ـ له جانبان:

١- جانب يتعلَّق بالقرآن ـ مع عدم الإيمان به ـ: وهذا صنيع الكفَّار والمنافقين.

---

(٤)- «آثار ابن باديس» (١/ ٤٠٧).

٢- وجانب يتعلَّق بالقرآن ـ مع الإيمان والإقرار به ـ: وهذا صنيع المقصِّرين مِن المسلمين [٥].

❊ أنواع هُجران القرآن:

هجرُ القرآن ليس له صُورة واحدة، بل هو أنواع مختلفة، كما دلَّت عليه نصوص الوحيَين. وقد أشار إليها بعض أهل العلم، نذكر ـ هنا ـ نَقْلَيْن لِعَلَمَيْنِ منهم، وهما: ابن القيِّم وابن كثير رحمهما الله.

قال ابن كثير رحمه الله: «كانوا إذا تُلِي عليهم القرآن أكثروا اللَّغَطَ والكلام في غيره حتَّى لا يسمعوه، فهذا مِن هُجرانه، وتَرْكُ عِلْمِه وحِفْظِه ـ أيضًا ـ مِن هُجرانه، وتركُ الإيمانِ به وتصديقِه مِن هُجرانه، وتركُ تدبُّرِه وتفهُّمِه مِن هُجرانه، وتركُ العمل به وامتثالِ أوامره واجتناب زَوَاجِرِه مِن هُجرانه، والعُدولُ عنه إلى غيرِه ـ مِن شِعْرٍ أو قَوْلٍ أو غناءٍ أو لَهْوٍ أو كلامٍ أو طريقة مأخوذة مِن غيره ـ مِن هُجرانه» [٦].

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «[فائدة]: هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثَّاني: هجر العمل به، والوقوفِ عند حلاله وحرامه، **وإنْ قرأه وآمن به.**

والثَّالث: هجر تحكيمه والتَّحاكم إليه، في أصول الدِّين وفروعه، واعتقادُ أنَّه لا يُفيد اليقينَ، وأنَّ أدلَّته لَفْظِيَّة لا تُحَصِّل العِلمَ.

---

(٥)- انظر: «نضرة النَّعيم» لعدد مِن المختصِّين بإشراف الشَّيخ صالح بن عبد الله بن حميد ـ خطيب الحرم المكِّي ـ (١١/ ٥٦٩١).
(٦)- «تفسير القرآن العظيم» (١٠/ ٣٠٣).

والرَّابع: هجر تدبُّره وتفهُّمه ومعرفة ما أراد المتكلِّمُ بِهِ منه [٧].

والخامس: هجر الاستشفاء والتَّداوي به، في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاءَ دائِه مِن غيره، ويهجر التَّداوي به. وكلُّ هذا داخل في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾، وإنْ كان بعض الهجر أَهْوَنُ مِن بَعْضٍ»[٨].

* وتفصيل ذلك فيما يلي:

١ - هَجْر تِلاوتِه:

لقد أمر الله ﷻ بتلاوة كتابه العزيز واتِّباعه وقراءته، فقال: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وقال ﷻ ـ حاكيًا قول نبيِّه ﷺ ـ: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ﴾ [النمل:٩١-٩٢]، أي: وأُمرت ـ كذلك ـ بأنْ أتلو على النَّاس القرآن أبلِّغهم وَحْي الله ﷻ [٩].

وحثَّ رسولُ الله ﷺ على قراءة القرآن؛ ذاكرًا فَضْلَ ذلك؛ فقال: «اقْرَأُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ...» الحديث [١٠].

وكان مِمَّا أوصى به ﷺ بعضَ أصحابِه: قوله لِأَبي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رضي الله عنه: «عَلَيْكَ بِتِلاوَةِ

---

(٧)- (المتكلم به) هو الله ﷻ. ومعنى العبارة: معرفة ما أراد الله ﷻ من كلامه.
(٨)-«الفوائد» (ص ١٥٦).
(٩)-انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١٠/ ٤٣٩)، «تيسير الكريم الرَّحمن» للسَّعدي (ص ٦١١).
(١٠)- رواه مسلم (٨٠٤) عن أَبي أُمَامَةَ البَاهِلِيّ رضي الله عنه.

القُرْآنِ وَذِكْرِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ»[١١] .

ونُنبِّه على أنَّ لفظ «التِّلاوة» يأتي بمعنى: القراءة، ويُستعمل بمعنى: الاتِّباع، بل هو المقصود مِن اللَّفظ؛ قال ابن القيِّم رحمه الله: «قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٢١]، والمعنى: يتَّبعون كتاب الله حقَّ اتِّباعه، فتلاوة القرآن: تتناول تِلاوةَ لفظه ومعناه، وتِلاوةُ المعنى أشرف مِن مجرَّد تلاوةِ اللَّفظ، وأهلها هم أهل القرآن، الَّذين لهم الثَّناء في الدُّنيا والآخرة؛ فإنَّهم أهل تِلاوةٍ ومتابعة حقًّا»[١٢] .

٢- هَجْر استماعِه والإصغاءِ إليه:

أَمَرنا الله سبحانه وتعالى بالاستماع لآيات كتابه حين تُتلى، وعدم الانشغال عنه بغيره، تعظيمًا له واحترامًا؛ فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾ [الأعراف:٢٠٤].

وإنَّما قال: ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ﴾، ولم يقل: (فاسمعوا)؛ لأنَّ الاستماع يكون بحضور القلب، الَّذي يحصل معه التَّدبُّر؛ بخلاف السَّماع، الَّذي يكون مِن غير قصد.

قال ابن تيميَّة رحمه الله: «فلو كان الرَّجل مارًّا فسمع القرآن، مِن غير أنْ يستمع إليه، لم يُؤْجَرْ على ذلك، وإنَّما يُؤْجَرُ على الاستماع الَّذي يَقْصِد»[١٣] .

---

(١١)- رواه ابن حبَّان (٣٦١)، انظر: «صحيح التَّرغيب» (٢٢٣٣).
(١٢)- «مفتاح دار السَّعادة» (١/ ٢٠٢) ـ مع شيء مِن الحذف ـ.
(١٣)- «مجموع الفتاوى» (٣٠/ ٢١٣).

وذكر ابن القيِّم رحمه الله أنَّ مِن أسباب هَجر استماع القرآن: الاستماع للأغاني وآلات الطَّرب، الَّذي زيَّنه الشَّيطان لكثير مِن النَّاس، فقال: «ومِن مَكَايِدِ عدوِّ اللهِ ومَصَايِدِه، الَّتي كاد بها مَن قَلَّ نَصِيبُه مِن العلم والعقل والدِّين، وصاد بها قلوبَ الجاهلين المُبْطِلِينَ: سماعُ المُكاءِ والتَّصدية، والغناءِ بالآلات المحرَّمة، الَّذي يَصُدُّ القلوبَ عن القرآن، ويجعلُها عاكفةً على الفُسوقِ والعِصيانِ، فهو قرآنُ الشَّيطانِ، والحجابُ الكَثِيفُ عن الرَّحمن»[١٤] .

٣- هَجْر تَدبُّرِه وتَفهُّمِه:

ينبغي لمن يقرأ القرآن أنْ يتدبَّر آياتِه، ويتأمَّل في معانيه وأحكامه، وهذا هو المقصود الأعظم مِن إنزاله، لا مجرَّد قراءته وتلاوته ـ على عِظم أجرها ـ؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩]. وقد وبَّخ الله جل وعلا مَن ترك التَّدبُّر في القرآن، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤].

ولـمَّا كان فِقه القرآن وفَهْمُه هو المقصود بتِلَاوَتِه، لا مجرَّد القراءة فقط، لم يأذنْ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنْ يختم القرآن في أقلَّ مِن ثلاثٍ، وقال له: «لَمْ يَفْقَهْ ـ وفي رواية: لاَ يَفْقَهُ ـ مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ في أَقَلَّ مِنْ ثَلاثٍ»[١٥] .

وهذا النَّوع مِن الهجر ـ أي: هَجر الفهم والتَّدبُّر ـ أشدُّ وأشنع من سابِقَيْه ـ أي: هَجر

(١٤)- «إغاثة اللَّهفان مِن مصائد الشَّيطان» (١/ ٤٠٨).
(١٥)-رواه أبو داود (١٣٩٧)، والتِّرمذي (٢٩٤٩)، وابن ماجه (١٣٤٧)، انظر: «صحيح الجامع» (٧٧٤٣).

تلاوته وسماعه ـ. قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: «وهجر معانيه أعظم مِن هجر ألفاظه»(١٦) .

وقراءةُ ما تيسَّر مِن آيات القرآن ـ بتدبُّر وتمعُّن ـ أفضلُ مِن قراءته كلِّه مِن غير فهْم. قال ابن القيِّم رحمه الله: «فقراءة آية بتفكُّر وتفهُّم خيرٌ مِن قراءة خَتْمَة بغير تدبُّر وتفهُّم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السَّلف... فقراءة القرآن بالتَّفكُّر هي أصل صلاح القلب»(١٧) .

٤- هَجْر العملِ به:

إنَّ الغاية العُظمى مِن إنزال القرآن الكريم هي العمل به، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، لهذا وردت آياتٌ عديدة فيه تأمر ـ أمْر إيجاب ـ باتِّباعه والعمل به؛ منها: قوله رضي الله عنهما: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف:٢-٣]، والعمل بالقرآن سبب لنيل رحمة الله ـ في الدُّنيا والآخرة ـ؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٥٥﴾ [الأنعام:١٥٥].

قال ابن تيميَّة رحمه الله: «والمطلوب مِن القرآن: هو فهمُ مَعَانِيه، والعملُ به، فإنْ لم تكن هذه همَّة حافظه، لم يكن مِن أهل العلم والدِّين»(١٨) .

(١٦)- «بيان تلبيس الجهميَّة» (٨/ ٥١٤).
(١٧)- «مفتاح دار السَّعادة» (١/ ١٨٧).
(١٨)- «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٥٥).

ولقد ضرب الله ﷻ لليهود ـ الَّذين تركوا العملَ بالتَّوراة ـ مَثل السَّوء؛ فقال ﷻ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة:٥]. وهذا المثل يلحق مَن لم يعمل بالقرآن الكريم ـ أيضًا ـ؛ قال ابن القيِّم رحمه الله: «فهذا المثلُ وإنْ كان قد ضُرب لليهود، **فهو مُتناوِلٌ ـ مِن حيث المعنى ـ لمن حمَل القرآنَ، فترَكَ العملَ به، ولم يُؤَدِّ حقَّه، ولم يَرْعَه حقَّ رعايته**»(١٩) .

٥- هَجْر الاستشفاءِ به والتَّداوي:

إنَّ القرآن الكريم شِفاءٌ لجميع أمراض القلوب والأبدان، سواء كانت أمراضُ القلوب: أمراضَ شُبهةٍ وشكٍّ، أو أمراضَ شَهوةٍ وغيٍّ؛ قال ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء:٨٢]. ونُشير ـ هنا ـ إلى أنَّ حرفَ الجرِّ (مِن): لِبيَان الجِنْس، لا للتَّبْعِيض، أي: أن القرآنَ كلَّه شفاء.

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس:٥٧]. وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فُصِّلت:٤٤].

قال ابن القيِّم رحمه الله: «فالقرآنُ هو الشِّفاء التَّامُّ مِن جميع الأدواء القلبيَّة والبدنيَّة، وأدواءِ الدُّنيا والآخرة، وما كلُّ أحدٍ يُؤهَّلُ ولا يُوفَّق لِلاسْتِشْفَاءِ به، وإذا أحسن

(١٩)- «إعلام الموقِّعين» (٢/ ٢٨٨).

العليلُ التَّداويَ به، ووضعَه على دائِه بِصِدْقٍ وإيمانٍ، وقبولٍ تامٍّ، واعتقادٍ جازِمٍ، واسْتِيفَاء شروطه، لم يُقاوِمْه الدَّاءُ أبدًا. وكيف تُقاوِمُ الأدواءُ كلامَ ربِّ الأرض والسَّماء، الَّذي لو نزل على الجبال لَصَدَعَهَا، أو على الأرض لَقَطَعَهَا، فما مِن مَرض ـ مِن أمراض القلوب والأبدان ـ إلاَّ وفي القرآنِ سبيل الدِّلالة على دوائِه وسَبَبِه... وأمَّا الأدوية القلبيَّة؛ فإنَّه يَذْكُرُها مُفصَّلةً، ويذكر أسباب أدوائِها وعلاجِها، قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١]، فمَن لم يَشْفِه القرآن، فلا شفاه الله، ومَن لم يَكْفِه، فلا كفاه الله»[٢٠].

٦- هَجْر تحكيمِه والتَّحاكمِ إليه:

قد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم ليحكم بين النَّاس فيما اختلفوا فيه، فَتَسْعَدَ به البشريَّة مِن خلال تطبيقِهم لِأَحكامِه، ونهاهم عن تحكيم غيره، أو التَّحاكم إلى سِوَاهُ مِن القوانين الوضعيَّة. والقارئُ لكتاب اللهِ يمرُّ على آياتٍ كثيرة تدلُّ على وُجوب تحكيم الشَّريعة الإسلامية، الَّتي مِن مصادرها القرآن الكريم. ونذكر في هذا الصَّدد ـ على سبيل التَّمثيل لا على وجه الحصر ـ بعض الآيات الَّتي تدعو إلى ذلك.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء:١٠٥]، وقال ـ أيضًا ـ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا

(٢٠)- «زاد المعاد» (٤/ ٣٥٢).

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٤٩-٥٠].

قال ابن كثير رحمه الله: «يُنكر تعالى على مَنْ خرج عن حُكم الله المحكَم المشتمِل على كلِّ خير، النَّاهي عن كلِّ شرٍّ، وعدَل إلى ما سِواه مِن الآراء والأهواء والاصطلاحات الَّتي وضعها الرِّجال بلا مُستنَدٍ مِن شريعة الله، كما كان أهل الجاهليَّة يحكمون به مِن الضَّلالات والجهالات، ممَّا يضعونها بآرائهم وأهوائهم»(٢١).

ولـمَّا أعرض النَّاس عن تحكيم كتاب الله ـ كما أمرهم الله ـ وحكموا بغير ما أنزل الله، استحقُّوا عُقوبة الله b، وحلَّ بهم سَخَطه، وأذاقهم الله لباس الجوع، وظهر فيهم الفقر. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «خَمْسٌ بِخَمْسٍ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا خَمْسٌ بِخَمْسٍ؟ قَالَ: «مَا نَقَضَ قَوْمٌ العَهْدَ إِلاَّ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الفَقْرُ، وَلا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الفَاحِشَةُ إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ المَوْتُ، وَلا طَفَّفُوا المِكْيَالَ إِلاَّ مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَلاَ مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلاَّ حُبِسَ عَنْهُمُ القَطْرُ»(٢٢).

ومِن آثار الحُكْم بغير ما أنزل الله، وهَجْر التَّحاكُم إلى القرآن: وُقوعُ التَّنازع بين النَّاس، حتَّى يُصبح بعضُهم عَدُوًّا لبعض، فلا يجتمعون على كلمة سواء، فيكثُر فيهم الشَّرُّ، ويقلُّ فيهم الخير، والله المستعان.

(٢١)- «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٢٥١).
(٢٢)- رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩٩٢)، انظر: «صحيح الجامع» (٣٢٤٠).

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ» ـ وذكر منها ـ: «وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»(٢٣) .

قال ابن تيمية رحمه الله: «وإذا خرج وُلاة الأمور عن هذا: فقد حكموا بغير ما أنزل الله، ووقع بأسهم بينهم، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا حَكَمَ قَوْمٌ بغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ وَقَعَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ»، وهذا مِن أعظم أسباب تغيير الدُّول»(٢٤) .

وختاما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: " الصِّيامُ والقرآنُ يَشْفَعَان للعبدِ يومَ القيامةِ، يقول الصيامُ: أيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطعامَ والشهوةَ، فَشَفِّعْنِي فيه، ويقول القرآنُ: رَبِّ مَنَعْتُه النومَ بالليلِ فَشَفِّعْني فيه. قال: فَيُشَفَّعَانِ"(٢٥) .

وقد اجتمع لكم في شهركم هذا الاثنان، فعباد الله أَرُوا اللهَ من أنفسكم خيرا.

نسألُكَ اللَّهمَّ بكلِّ اسمٍ هو لك، سمَّيتَ به نفسك، أو علَّمته أحدًا مِن خلقك، أو أنزلتَه في كتابك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أنْ تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونُور صُدورنا، وجلاء أحزاننا، وصلِّ اللَّهمَّ على عبدك ورسولك محمَّد، وعلى آله وأصحابه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

(٢٣)- رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، انظر: «الصَّحيحة» (١٠٦).
(٢٤)-«مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٣٨٨).
(٢٥)- حديث صحيح - صحيح الجامع (٣٨٨٢)، وصحيح الترغيب والترهيب (١٤٢٩).

الحداثة
مذهب فكري هدام

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فلا زالت دعاوى الحَدَاثِيِّينَ تظهر بين الفَيْنَة والأخرى لِتُشَوِّشَ على عامة المسلمين معتقداتهم، ولِتُبَيِّنَ الحقد الدفين على الإسلام وأهله. وحتى يَسْتَسِيغَها الجاهل المغفل؛ فإنها تُقَدَّم على طَبَقِ عَصْرَنَةِ الدين والحياة، وتغيير الرُّؤى ومسارعة التقدم، وكأن الدين الذي انتشر في الآفاق وساد حتى خضعت له كل الأعناق هو سبب تخلفنا وتأخرنا عن ركب الحضارة والتمدن، وليت شعري لولا الدين أَكُنَّا نِلْنَا استقلالا من كافر فاجر، أو حققنا تقدما في عصر حاضر أم غابر.

إنه الإسلام الذي يريد أعداؤه إزالَتَه وطمسَ معالمه بأي أسلوب مَعْفُونٍ وبأي شخص مَأْفُونٍ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (1). ولِمَا عَكَّرَ صَفْوَنا هذه الأيام مِن تَفَوُّهِ أحد المخذولين في عقائد الإسلام بالتحريف والتغيير؛ مُنْتَهِجًا نهج الحداثيين؛ وزاعما أن هذا هو الدين الذي لا يُصْلِحُ البشريةَ سواه، أحببت أن أُوقِفَ إخواني على حقيقة الحداثة وأساس أطروحتها في هذا المقال.

---

(1)- [الصف:8]

أولا: تعريف الحداثة:[٢]

الحداثة مذهب فكري أدبي علماني، بُني على أفكار وعقائد غربية خالصة، مثل (الماركسية) و(الوجودية) و(الفرويدية) و(الداروينية)، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل (السريالية) و(الرمزية) وغيرها.

وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة، وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة، لتبني الحياةَ على الإباحية والفوضى، وعدم المنطق، وذلك باسم الحرية. والحداثة خلاصة مذاهب خطيرة ملحدة، ظهرت في أوروبا كـ(المستقبلية) و(الوجودية) و(السريالية)، وهي إفراز طبيعي لعزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوروبي، هروبا من تسلط الكنيسة على ميادين العلم والتقدم.

ثانيا: الجذور التاريخية للحداثة:[٣]

إن الحداثة مذهب فكري وُلِد ونشأ في الغرب، منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي على يدي بُودْلِيرْ، إلا أن جذورَها ترجع إلى القرن الخامس عشر الميلادي، حين انفصلت المجتمعات الأوربية عن الكنيسة، وثارت على سلطتها الروحية التي كانت تحارب كل دعوة للعلم الصحيح، والاحترام لعقل الإنسان، ثم انتقل منه إلى بلاد المسلمين.

---

(٢)-المصدر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
(٣)-المصدر: الحداثة في ميزان الإسلام. لعوض القرني ص:٢٣، ٢٤.

ولا شك أن الحداثيين العرب حاولوا بِشَتَّى الطرق والوسائل أن يجدوا لحداثتهم جذوراً في التاريخ الإسلامي، فما أسعفهم إلا من كان على شاكلتهم من كل ملحد أو فاسق أو ماجن، مثل: الحلاج، وابن عربي، وبشار، وأبي نواس، وابن الراوندي، والمَعَرِّي، والقرامطة، وثورة الزِّنْج.

لكن الواقع أن كل ما يقوله الحداثيون هنا، ليس إلا تكراراً لما قاله حداثيُّو أوربا وأمريكا، ورغم صياحهم وجَعْجَعَتِهِم بالإبداع والتجاوز للسائد والنمطي - كما يسمونه - إلا أنه لا يطبَّق إلا على الإسلام وتراثه، أمّا وثنية اليونان وأساطير الرومان وأفكار ملاحدة الغرب، حتى قبل مئات السنين فهي قمة الحداثة. لذلك تجدهم يَذُمُّون كل ما هو آت عن المسلمين، ويُمَجِّدُون ما جاء عن ضُلَّالِ الفلاسفة، ولَرُبَّما اعتبروهم أنبياءَ كذلك - ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾-. ولذلك فهم مجرد نَقَلَةٍ لفكرِ أعمدة الحداثة في الغرب، مثل: أليوت، وباوند، وريلكة، ولوركا، ونيرودا، وبارت، وماركيز، وغيرهم.

ثالثا: من أبرز رموز مذهب الحداثة من الغربيين:

- شارل بودلير ١٨٢١ - ١٨٦٧م وهو أديب فرنسي أيضًا، نادى بالفوضى الجنسية والفكرية والأخلاقية، ووَصَفَها بالسادية أي مذهب التلذذ بتعذيب الآخرين. له ديوان شعر باسم (أزهار الشر) مترجم للعربية من قبل الشاعر إبراهيم ناجي. ويُعَدُّ شارل بودلير مؤسس الحداثة في العالم الغربي.

- الأديب الفرنسي غوستاف فلوبير ١٨٢١ - ١٨٨٠م.

- مالا راميه ١٨٤٢ - ١٨٩٨م وهو شاعر فرنسي ويعد أيضاً من رموز المذهب الرمزي.

- الأديب الروسي مايكوفسكي، الذي نادى بنبذ الماضي والاندفاع نحو المستقبل.

رابعا: موجز تاريخ الحداثة العربية:[٤]

بعد أن انتقل وَبَاءُ الحداثة إلى ديار العرب على أيدي المُنْهَزِمِينَ فِكْرِيًّا، ولقيتْ الرفضَ من المجتمع الإسلامي في بلاد العرب، أخذوا يُنَقِّبُون عن أي أصول لها في التاريخ العربي لعلها تكتسب بذلك الشرعية.

وأدونيس .... يعتبر المنظر الفكري للحداثيين العرب، وكتابه (الثابت والمتحول) هو معول الحداثيين، ومهما حاول الحداثيون أن ينفوا ذلك فإن جميع إنتاجهم يشهد بأنهم أبناؤه الأوفياء لفكره.

وهكذا ابتدأ المُنَظِّرُ الفِكري للحداثة العربية يَنْبُش كتب التراث ويستخرج كل شاذ ومنحرف من الشعراء والأدباء والمفكرين، مثل: بَشَّارِ بن بُرْد، وأبي نواس، لأن في شعرهم الكثير من المُرُوقِ على الإسلام، والتشكيك في العقائد والسخرية منها، والدعوة للانحلال الجنسي. وحين يتحدث أدونيس عن أبي نواس وعمر

(٤)-المصدر: الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية لمحمد بن عبد العزيز العلي- ٢/ ٦٩٠.

بن أبي ربيعة، وعن سبب إعجاب الحداثيين بشعرهما، يقول: «إن الإِنْتِهَاكَ - أي تدنيس المقدسات - هو ما يَجْذِبُنا في شعرهما، والعلة في هذا الجذب أننا لا شعوريّاً نحارب كل ما يَحُولُ دون تَفَتُّح الإنسان، فالإنسان من هذه الزاوية ثَوْرِي بالفطرة، الإنسان حيوان ثوري»[٥]. بل إنهم يعتبرون رموز الإلحاد والزندقة؛ أهلَ الإبداع والتجاوز، وأهل المعاناة في سبيل حرية الفكر والتجاوز للسائد، وأَلَّفُوا في مدحهم القصائدَ والمسرحيات والمؤلفات.[٦]

خامسا: بعض رموز مذهب الحداثة في البلاد العربية:

- يوسف الخال: الشاعر النصراني وهو سوري الأصل رئيس تحرير مجلة (شعر) الحداثية. وقد مات منتحراً أثناء الحرب الأهلية اللبنانية.

- أدونيس (علي أحمد سعيد): نُصَيْرِيٌّ سوري، ويُعَدُّ المُرَوِّج الأول لمذهب الحداثة في البلاد العربية. وقد هاجم التاريخ الإسلامي، والدين والأخلاق في رسالته الجامعية التي قدَّمها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة «القديس يوسف» في لبنان، وهي بعنوان (الثابت والمتحول)، ودعا بصراحة إلى محاربة الله عَزَّوَجَلَّ. وسبب شهرته فساد الإعلام بِتَسْلِيط الأضواء على كل غريب.

- د. عبد العزيز المقالح: وهو كاتب وشاعر يماني، وهو الآن مدير لجامعة صنعاء، وذو فكر يساري.

(٥)-انظر (الثابت المتحول) (ج١ صفحة ٢١٦).
(٦)-المصدر: الحداثة في ميزان الإسلام لعوض القرني ص٣٥، ٣٨.

- عبد الله العروي: ماركسي مغربي.

- محمد عابد الجابري مغربي.

- الشاعر العراقي الماركسي عبد الوهاب البياتي.

- الشاعر الفلسطيني محمود درويش: عضو الحزب الشيوعي الإسرائيلي أثناء إقامته بفلسطين المحتلة، وهو الآن يعيش خارج فلسطين.

- كاتب ياسين: ماركسي جزائري.

- محمد أركون: جزائري عاش في فرنسا.

- الشاعر المصري صلاح عبد الصبور: مؤلف مسرحية (الحَلَّاج).

ومِنْ شاكلتهم ما يَتَفَوَّه به من يدعو إلى إعادة ترتيب سُوَرِ القرآن، وإثبات النبوة لفلاسفة وَثَنِيِّينَ، وغيرها من المسائل التي يُعَوِّلُ عليها الحداثيون لِزَعْزَعَةِ أركان الإسلام (٧) .

سادسا: الأفكار والمعتقدات:

- رفض مصادر الدين، الكتاب والسنة والإجماع، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة إما صراحة أو ضمناً.

- الدعوة إلى نقد النصوص الشرعية، والمناداة بتأويلٍ جديد لها يتناسب والأفكار

(٧)-المصدر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

الحداثية.

- الثورة على الأنظمة السياسية الحاكمة لأنها في منظورها رجعية متخلفة؛ أي غير حداثية، وربما اسْتَثْنَوْا الحكم البَعْثِيَّ.

- تَبَنِّي أفكار ماركس المادية الملحدة، ونظريات فرويد في النفس الإنسانية وأَوْهَامه، ونظريات دارْوِن في أصل الأنواع، وأفكار نِيتْشَه وهَلْوَسَتِه، والتي سَمَّوْهَا فلسفة في الإنسان الأعلى (السُّوبَرْ مَانْ).

- الثورة على جميع القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية.

- اللغة - في رأيهم - قوة ضخمة من قوى الفكر المُتَخَلِّف التَّرَاكُمِي السُّلْطَوِي، لذا يجب أن تموت، ولغة الحداثة هي اللغة النقيض لهذه اللغة المَوْرُوثة بعد أن أَضْحَتْ اللغةُ والكلماتُ بضاعةَ عهد قديم يجب التخلص منها.

- الغموض والإبهام والرمز معالم بارزة في الأدب والشعر الحداثي.

- إن الحداثة هي خلاصة سموم الفكر البشري كله، من الفكر الماركسي إلى العلمانية الرافضة للدين، إلى الشعوبية، إلى هدم عمود الشعر، إلى شَجْبِ تاريخ أهل السنة كاملاً، إلى إحياء الوَثَنِيَّاتِ والأساطير.

- ويتخفى الحداثيون وراء مظاهر تقتصر على الشعر والتَّفْعِيلَة والتحْلِيل، بينما هي تقصد رأساً هدم اللغة العربية وما يتصل بها من مستوى بَلَاغِيٍّ وبَيَانِيٍّ عربي

مُسْتَمَدٍّ من القرآن الكريم، وهذا هو السر في الحملة على القديم وعلى التراث وعلى السلفية. (٨)

سابعا: الحداثة منهج فكري يسعى لتغيير الحياة:

إن أطروحة الحداثيين في هدم القيم وكُلِّ ما يَمُتُّ للدين بِصِلَةٍ مَبْنِيَّةٌ أساسا على هدم الوِعَاءِ الذي يأتي فيه الدين؛ وهو اللغة العربية، لذلك فَهُمْ يسعَوْن لتفريغها من مضمونها، وإن اعتبروها وأشادوا بها فبِالألفاظ دون المعاني، فهم يعتبرون النص جميلا وإن كان فحواه دَعْوَى لِانْحلال خلقي، وحتى يتم لهم ذلك اعتمدوا الغموضَ في أدبِهم ومِنْ نَتَاجِه شعر التَّفْعِيلَةِ والشعر الحُرُّ.

ثامنا: الغموض في أدب الحداثة والغاية منه:

إن أول ما يصدم القارئ لأدب الحداثة هو تَلَفُّعُهُ بِعَبَاءَةِ الغموض، وتَدَثُّرُه بشِعَار التَّعْتِيمِ والضباب، حتى إن القارئ يفقد الرؤية ولا يعلم أين هو مُتَّجِهٌ، وماذا يقرأ: أهو جِدٌّ أم هَزْلٌ، حقٌّ أم باطلٌ. بل يقطع أحيانـًا بأن ما يقرأُه ليس له صلة بِلُغَةِ العرب: إمّا في الجُمَلِ والتراكيب وإن كانت المفردات عربية، أو حتى في المفردات الجديدة التي تَدْخُلُ الاستعمال لِتَوِّهَا ولِأَوَّل مرة.

ومثاله:

لأني نفيت من الحلم بالأمس سامرت قيظا

وجعا منح الوقت وقتـًا واحترى أن يمر به الوسم

(٨)-المصدر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

لأني عاصرت حالة دفني تجذرت بالرمل
مارست توق الخروج عن الخارطة ولأن الخريف طوى قامتي

أهذا كلام العقلاء فضلا عن أن يكون كلام الأدباء أو كما يسمونهم: المُبْدِعِينَ والمُتَمَيِّزِينَ؟؟!.

تاسعا: أساليب الحداثيين في نشر أفكارهم:(٩)

١ـ السيطرةُ على الملاحق الأدبية والثقافية في أغلب الصُّحُف وتوجِيهُها لخدمة فكرهم ومُنَاوَأَةِ ومحاربة غيرهم.

٢ - نشر الإرهاب الفكري ضد مخالفيهم، واتهامُهم بشتى التهم والنعوت، والتأكيدُ على أنهم لا يعقلون ولا يعلمون، وأنهم مُجَرَّدُ دُمًى مُحَنَّطَة يجب أن تُبْعَدَ من الطريق، ولا تستحق أن يكون لها مكان في عالم الفكر والثقافة والأدب. في مقابل الإِشَادَةِ بِفِكْرِهم بصورةٍ مُثِيرَةٍ تجعل الفرد يَنْقَاد لهم، ويقول: هم أهل الساحة، ولا مَنَاصَ من الدخول في رِكَابِهم.

٣ - إقامة الندوات والأمسيات الشعرية والقصصية والنقدية والمسرحية في طول البلاد وعرضها.

٤- المرحلية في الإعلان عن أفكارهم، فهم يَبْدَءُونَ بما لا يثير الناس عليهم.

---

(٩)-المصدر: الحداثة في ميزان الإسلام لعوض القرني ص١٣٨ - ١٥٣.

عاشرا: آثار الحداثة في العالم الإسلامي:(١٠)

الأثر الأول: إشاعة الفوضى العَقَدِيَّةِ والثقافية في العالم الإسلامي بين كثير من القارئين.

الأثر الثاني: إيجاد طبقة معزولة عن المجتمع سياسيا وعَقَدِيًّا، فالنظام المطبق في البلاد لا يعجبها، بل ـ كما هو المنهج الحداثي ـ ترى ضرورة رفضه والثورةِ عليه.

والعقيدة الموروثة والشريعة المألوفة؛ لا تخضع لها ولا ترضى بها، بل لابد من التَّمَرُّد عليها وتَخَطِّيهَا.

والواقع كله رَجْعِيٌّ متخلِّف في سياسته وعقيدته وأخلاقه وأَعْرَافِه، يجب تجاوزه بعد تهديمه ...

الأثر الثالث: ومن آثار الحداثة: تَجَرُّؤُ بعض النساء على الأحكام الشرعية بِنَقْدِها، والخروج عليها، وحُجَّتُهُنَّ في ذلك أقوال الحداثيين وشُبَهُهُم.

الأثر الرابع: ومن آثار الحداثة: إعلان شأن الفرقِ الباطنية، والفلسفية والصوفية، والمُعَطِّلَةِ على اختلاف مذاهبها، وذلك لأن الحداثيين يَبْذُلُونَ وُسْعَهُمْ في دراسة تاريخ المسلمين وإبْرَازِ تلك الفرق والفلسفات المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وإعلان شأنها بوصفها ظَوَاهِر «حداثية» تَمَرَّدَتْ على الموروث

(١٠)-المصدر: الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية لمحمد بن عبد العزيز العلي- ٣/ ١٥٤٦. انظر: ((كواشف زيوف)) (ص: ٣٥٩- ٣٦٠)، و ((المذاهب المعاصرة)) (ص: ٢٢١- ٢٢٣)، و ((مذاهب معاصرة)) (ص:٤٩١).

والسائد والمألوف، في العقيدة والشريعة...

الأثر الخامس: ومن آثار الحداثة: تَغَلْغُلُ كثير من الحداثيين في وسائل التربية والتعليم والإعلام في العالم الإسلامي، وبالتالي يُوَجِّهُون الناسَ حسب مناهجهم الحداثية وأفكارهم.

الأثر السادس: بَرَزَتْ في الصحفِ والمجلاتِ واللِّقاءاتِ الكلماتُ العامِّيَّةُ والأجنبيةُ، والألفاظ المُوغِلَةُ في الرمزية والغموض.

الأثر السابع: ومن آثار انتشار المفاهيم الحداثية في العالم الإسلامي أن الحداثة أصبحت ثوبًا يَتَسَتَّر به كل قادِحٍ في الدين؛ وبخاصة أصحاب الاتجاهات المَشْبُوهَة، والمُنْتَمِين إلى الأحزاب الكافرة كالماركسية، والعلمانية والبعثية والاتجاهات الباطنية ونحو ذلك.

حتى أصبح الانتساب إلى الحداثة أسهل طريق لنقد مصادر الدين؛ وما صدر عنها، باسم التحدِيث أو التجديد أحيانا.

أحد عشر: بعض مواقف الحداثيين من الإسلام وقِيَمِه:

إن الحداثة - في الجملة - تنادي بالإلحاد والكفر بالأديان جميعا، من خلال أَدَبِيَّاتِها المختلفة، ففي أقوالهم وكتاباتهم من الحرب لدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الشيء الكثير، ومن ذلك:

- الاستهزاءُ بالإسلام كدين، و النيل من رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو كتابه الكريم.

- أو الحَطُّ من التاريخ الإسلامي.

- أو نشر الرَّذِيلَة وسوء الأخلاق مما يتنافى مع ديننا.

- أو الترويج لبعض الأفكار التي الأَخْذُ بها يُؤَدِّي إلى ضياع أمتنا.

- وإِهْدَار تَمَيُّزِها وتَفَرُّدِها الذي كَرَّمَهَا الله به.

ولو قَرَأْتَ ما كتبه المُثْبِتُ لِنُبُوَّةِ كُونْفُشْيُوسْ لَفَهِمْتَ كلَّ شيء.

وحسبنا في التدليل على سعيهم لهدم الثوابت أن نسوق قول أدونيس -وهو أحد رموز الحداثة في العالم العربي- في كتابه (فن الشعر) (ص ٧٦): «إن فن القصيدة أو المسرحية أو القصة التي يحتاج إليها الجمهور العربي ليست تلك التي تُسَلِّيه أو تقدم له مادة اسْتِهْلَاكِيَّةً، وليست تلك التي تُسَايِرُه في حياته الجادة، وإنما هي التي تُعَارِضُ هذه الحياة! أي تَصْدِمُه، وتُخْرِجُه من سُبَاتِه، تُفَرِّغُه من مَوْرُوثِه وتقذفه خارج نفسه، إنها التي تُجَابِهُ السياسة ومؤسساتها، الدينَ ومؤسساتِه، العائلةَ ومؤسساتها، التراث ومؤسساته، وبِنْيَةَ المجتمع القائم. كلها بجميع مظاهرها ومؤسساتها، وذلك من أجل تهديمها كلها! أي من أجل خَلْقِ الإنسان العربي الجديد، يلزمنا تحطيم الموروث الثابت، فهنا يَكْمُنُ العَدُوُّ الأول للثورة والإنسان».

فنزار قباني يقول: «مِنْ بعد موت الله مَشْنُوقًا على باب المدينة لم تَبْقَ للصلوات قِيمَةٌ، لم يَبْقَ للإيمان أو للكفر قيمة»

ويقول محمود درويش: «يوم كان الإلهُ يَجْلِدُ عبدَه قُلْتُ: يا ناس نكفر»

وهذا يوسف الخال يُعْلِنُ كفرَه وإلحاده فيقول: «لا نور لا ظلام لا إله»

ويقول توفيق الصايغ النصراني: «يَأْتِينَ إن يَأْتِينَ في ركب إله؛ ولا إله، تقنص خطو إله؛ ولا إله»

أما حسن حنفي فَيَرُدُّ على حداثيين اتَّهمُوه بالسلفية والتراث قائلا: «نحن منذ فجر النهضة العربية الحديثة وحتى الآن نحاول أن نَخْرُجَ من الإيمان السلفي» ... إلى أن يقول: «أنا ماركسي شاب ...» وبعد قليل يكرر نفس الكلام فيقول: «وأنا هنا ماركسي أكثر من الماركسيين».

وهاهو فؤاد زكريا شيخ العلمانيين والحداثيين يعلن أن «العلمانية هي الحل» وذلك في وجه الإسلاميين المنادين بأن «الإسلام هو الحل».

ولقد ذكر الأستاذ جمال سلطان في كتابه (دفاع عن ثقافتنا) أن المُنَظَّمَةَ العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو) -وهي تابعة إداريا للجامعة العربية، وهي وكالة متخصصة للشئون الثقافية، وتضم من بين أقسامها ما يسمى (الإدارة الثقافية) وفيها لجنة تخطيط العمل الثقافي وتنظيم أجهزته في الوطن العربي سنتي (١٩٧٤ - ١٩٧٥م)- التي عقدت مؤتمرها الأول حول «الأصالة والتجديد في

الثقافة العربية» ومؤتمرها حول «الوحدة والتنوع في الثقافة العربية»، والعجيب أن الذين عُزِلوا عن هذه المؤتمرات هم الإسلاميون، وأصبحت هذه المؤتمرات حِكْرًا على دعاة التَّغْرِيبِ والحداثة.

والعجيب أن (الأليسكو) قامت تحت عَبَاءَاتِها مشروعات ضخمة منها: العمل الضخم المسمى: (الخطة الشاملة للثقافة العربية) وهي بمثابة (استراتيجيات للثقافة العربية)؛ وُصِفَتْ هذه الخطة بـ (جهد تاريخي ظَلَّ حلماً غالياً) بوصف د/ محي الدين صابر مدير عام المنظمة.

ومحل الشاهد عدة مقولات أساسية وردت في هذه الخطة لننظر ماذا يريد الحداثيون والعلمانيون من العالم العربي والإسلامي. وأنقل هنا بعض البنود الواردة في الخطة التي أوردها جمال سلطان منها قولهم:

- إن انتشار الإيمان بالغيب (الفكر الغيبي) أهم أسباب انتكاسة الحضارة العربية.

- إذا كان الدين عنصر الوحدة في القرون السابقة، فإن القومية هي عنصرها في العصر الحديث.

قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي بشأن القراءة الجديدة للقرآن وللنصوص الدينية:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين:

قرار رقم: ١٤٦ (٤/ ١٦)

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته السادسة عشرة بدبي (دولة الإمارات العربية المتحدة) من ٣٠ صفر إلى ٥ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، الموافق ٩ – ١٤ نيسان (إبريل) ٢٠٠٥م، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع القراءة الجديدة للقرآن وللنصوص الدينية، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله.

قرر ما يأتي:

أولاً: إن ما يُسمى بالقراءة الجديدة للنصوص الدينية إذا أَدَّتْ لتحريف معاني النصوص؛ ولو بالاستناد إلى أقوال شاذَّة، بحيث تُخْرِجُ النصوصَ عن المُجمع عليه، وتتناقض مع الحقائق الشرعية يُعَدُّ بدعةً منكرة وخطراً جَسِيماً على المجتمعات الإسلامية وثقافتها وقِيَمِها، مع ملاحظة أن بعض حَمَلَةِ هذا

الاتجاه وَقَعُوا فيه بسبب الجهل بالمَعَايِيرِ الضابطة للتفسير، أو الهَوَسِ بالتجديد غير المنضبط بالضوابط الشرعية.

وتتجلى بَوَادِرُ استفحال الخطر في تَبَنِّي بعض الجامعات منهج هذه القراءات، ونشرِ مَقُولَاتِها بمختلف وسائل التبليغ، والتشجيعِ على تناول موضوعاتها في

رسائلَ جامعيةٍ، ودعوةِ رُمُوزِها إلى المحاضرة والإسهام في الندوات المشبوهة، والإقبالِ على ترجمة ما كُتِبَ من آرائها بلغات أجنبية، ونشرِ بعض المؤسسات لِكُتُبِهِم المسمومة.

ثانيًا: أصبح التصدي لتيار هذه القراءات من فُرُوض الكفاية، ومن وسائل التصدي لهذا التيار وحَسْمِ خطره ما يلي:

- دعوة الحكومات الإسلامية إلى مواجهة هذا الخطر الدَّاهِم، وتَجْلِيَةُ الفرق بين حرية الرأي المسؤولة الهادفة المحترِمَة للثوابت؛ وبين الحرية المُنْفَلِتَةِ الهدامة، لكي تقوم هذه الحكومات باتخاذ الإجراءات اللازمة لمراقبة مؤسسات النشر ومراكز الثقافة، ومؤسسات الإعلام والعمل على تعميق التوعية الإسلامية العامة في نفوس النَّشْءِ والشباب الجامعي، والتعريف بمعايِير الاجتهاد الشرعي، والتفسير الصحيح، وشرح الحديث النبوي.

- اتخاذُ وسائلَ مناسبةٍ (مثل عقد ندواتِ مناقشةٍ) للإرشاد إلى التعمق في دراسة علوم الشريعة ومصطلحاتها، وتشجيع الاجتهاد المنضبط بالضوابط الشرعية وأصول اللغة العربية ومَعْهُودَاتِها.

- توسيع مجال الحوار المنهجي الإيجابي مع حملة هذا الاتجاه.

- تشجيع المُخْتَصِّين في الدراسات الإسلامية لتكثيف الردود العملية الجادة، ومناقشة مَقُولَاتِهِم في مختلف المجالات، وبخاصة مناهج التعليم.

– توجيه بعض طلبة الدراسات العليا في العقيدة والحديث والشريعة إلى اختيار موضوعات رسائلهم الجامعية في نشر الحقائق، والرد الجاد على آرائهم ومَزَاعِمِهِم.

– تكوين فرق عمل تابع لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، مع إنشاء مكتبة شاملة للمؤلفات في هذا الموضوع تَرْصُدُ ما نُشِر فيه والردودَ عليه، تمهيدا لكتابة البحوث الجادة، وللتنسيق بين الدارسين فيه، ضمن مختلف مؤسسات البحث في العالم الإسلامي وخارجِه. والله أعلم.

إن العقيدة ما سُمِّيَتْ عقيدةً إلا لِأَنَّ الإنسان يربط قلبَه عليها، فلا ينبغي أن نشك في عقائدنا لِشُبْهَةٍ تعرض، أو لنظرية تُفْرَضُ؛ خاصة ونحن في زمنٍ تَنَبَّأَ به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**سيأتي على الناس سنواتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فيها الكاذبُ، ويُكَذَّبُ فيها الصادقُ، ويُؤْتَمَنُ فيها الخائنُ، ويُخَوَّنُ فيها الأمينُ، ويَنْطِقُ فيها الرُّوَيْبِضَةُ**»، قيل: وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قال: «**الرجل التَّافِهُ يتكلم في أَمْرِ العامَّةِ**»[(١١)] .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

جمعها: محمد بن عدة

---

(١١)–انظر صحيح الجامع ١/ ٦٨١.

آداب المسجد الحلقة الثانية

بقلم فضيلة الشيخ عز الدين عوير

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد:

لا زلنا معاشر المسلمين والمسلمات مع ذكر آداب المسجد، وكنا قد توقفنا عند خروج المصلي الذي يريد بيت الله عَزَّوَجَلَّ قلنا:

ينبغي له أن يخرج من بيته متوضأً إن استطاع ذلك؛ فهو أفضل له، وهو يُدْخِلُه في العبادة مباشرة، فهو يشعر نفسيا أنه قد دخل في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ مع ما يحصل

له من الفضل والأجر العظيم كلما خطى خطوة، فخطوة تكتب حسنة و خطوة تحط سيئة و أخرى ترفعه درجة ذهابا و إيابا كما جاء في الحديث النبوي.

من الآداب أيضا: أنه إذا خرج من بيته أن لا يُشَبِّكَ بين أصابعه ، والتشبيك: أن يدخل أصابع يديه فيما بعضها البعض، فقد قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عَامِدًا إلى المسجد فلا يُشَبِّكَنَّ بين أصابعه فإنه في صلاة »[1] وهذا من الآداب التي قد نغفل عنها ، والمقصود منه حتى يشعر الإنسان بمجرد عزمه أو خروجه من بيته قاصدا بيت الله أنه قد دخل في العبادة و أنه مرتبط ظاهرا و باطنا بآداب الزائر لبيت ملك الملوك، قال «...فلا يُشَبِّكَنَّ بين أصابعه فإنه في صلاة ». ولهذا إذا توضأت في بيتك، تشعر نفسيا أنك في صلاة فتراقب نفسك و تستحضر نية القدوم على بيت الله وأنك سوف تتأدب بآدابه.

يمشي قاصدا بيت الله عَزَّوَجَلَّ ، وعليه السكينة والوقار، ولا يجري ولا يسرع، حتى إذا بلغ المسجد بلغ في هيئة طيبة، دون عرق ولا تَسَارُعِ نَفَسٍ و لا لَهَثٍ، مما قد يعكر عليه صلاته وراحته في المسجد قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة، وعليكم السَّكِينَة و الوَقَارُ، ولا تسرعوا، فما أدركتم فَصَلُّوا و ما فاتكم فَأَتِمُّوا» و في لفظ: « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تَسْعَوْنَ وأْتُوهَا تمشون وعليكم السَّكِينَة و الوَقَارُ، فما أدركتم فصلوا و ما فاتكم فأتموا». و هذا أدب آخر. حتى وأنت تمشي قاصدا بيت الله فإنما تمشي مشية لا سرعة كبيرة

(١)- رواه الترمذي و هو صحيح

فيها، لأن ذلك يؤثر فيك مع أن قصدك طيب، قصدك أن تدرك الصلاة، لكن تَذَكَّر أنك لابد أن تدركها وأنت على أحسن هيئة، فإذا أدركت الصلاة وأنفاسك تتسارع فإنك لن تكون فيها على أحسن هيئة لذلك قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « ... فلا تأتوها تَسْعَوْنَ وأْتُوهَا تمشون وعليكم السَّكِينَة و الوَقَارُ » ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (٢) دون تكبر بل مشية فيها سكينة ووَقَار، فيها هدوء وطمأنينة، هدوء حركات تُنْبِئُ على هدوء نفس و طباع.

فإذا وصل المسجد وقبل أن يدخل، وخاصة في المساجد التي تكون مثلا في الصحراء وتكون غير مفروشة و اعتاد فيها الناس أن يصلوا في نعالهم أو أحذيتهم قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى في نعليه قَذَرًا أو أَذًى فَلْيَمْسَحْهُمَا، و لْيُصَلِّ فيهما»(٣)، أي إذا أراد أحدكم أن يدخل المسجد و أن يُصَلِّي في نَعْلَيْه فَلْيَنْظُرْ هل علق بهما أذى (نجاسة، شيء من القذارة)، فَعَلَيْه أن يمسحهما بالأرض ليطهرهما قبل أن يدخل ثم يصلي فيهما. و في حديث آخر قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « إذا وَطِئَ أحدُكم بِنَعْلَيْه الأَذَى فإن التراب لهما طَهور» و في رواية أخرى قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إذا وطئ أحدكم الأذى بِخُفَّيْه فَطَهورهما التراب» أي: يطهرهما ما بعدهما من التراب. والآن هذا الأمر صار نادرا، فغالب المساجد اليوم صارت مفروشة بأفرشة فاخرة، فلا يصلين فيها أحد في نعاله، و إنما إذا أتى أحدٌ المسجد فلينزع نعليه، يبدأ باليسرى ثم اليمنى، والعكس إذا لبس

(٢)–[الفرقان:٦٣]
(٣)–رواه أبو داود و هو صحيح

يبدأ باليمنى ثم اليسرى كما ثبت في السنة أنه كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ التَّيَامُن في أموره كلها، يبدأ في الأمور الطيبة دائما باليمنى.

و يدخل المسجد مقدما رجله اليمنى، ويقول: «أَعُوذُ باللهِ العظيمِ وبِوَجْهِهِ الكريمِ وسُلْطَانِه القَدِيمِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ» قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فيقول الشيطان في كَمَدٍ: لقد كُفِيَ» أي: قد كُفِيَ الرجل بهذا الدعاء من كيد الشيطان سائرَ اليوم، فلا يستطيع أن يقربه أو يصيبه بِأَذَى ، ثم يقول: «بسم الله، و الصلاة و السلام على رسول الله، اللهم افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك». تقوله وأنت داخل إلى بيت الله، أنت تريد الجنة تريد عفوه، مغفرته، رحمته، فتطلب منه أن يفتح لك أبواب رحمته التي قال الله عَزَّوَجَلَّ فيها ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٤).

فيأخذ نعليه، فإذا كان هناك مكان مخصص لوضع الأحذية وضعها فيه، وإن خشي عليهما أين يضعهما؟ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إذا صلى أحدكم فخلع نعليه فلا يُؤْذِ بهما أحدًا، لِيَجْعَلْهُما بين رجليه، أو لِيُصَلِّ فيهما» أي: إذا نزع حذاءه للصلاة فَلْيَجْعَلْه في مكان هو في مَنْأًى عن إيذاء غيره، فقد يأتي أحدهم فيكون عند رأسه، فليصلِّ فيه إن كان المسجد غير مفروش، أو ليجعلهما بين رجليه. وفي لفظ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « إذا صلى أحدكم فلا يضع نعليه عن يمينه، و لا عن يساره، إلا أن لا يكون عن يساره أحد، وليضعهما بين رجليه» (٥). لا تضعهما عند قِبلتك؛ عند رأسك ولا عند رأس غيرك، ولا عن يمينك و لا عن يمين غيرك،

(٤)-[الأعراف:١٥٦]

(٥)-أخرجه أبو داوود و هو صحيح

لا تؤذ بهما نفسك ولا غيرَك، ضعهما بين رجليك أو عن شمالك إن لم يكن عن شمالك أحد.

فإذا دخل، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين تحية للمسجد، لبيت ملك الملوك. بيت الله له حكم خاص، إذا دخلته لا تجلس حتى تصلي. قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: « إذا دخل أحدُكم المسجدَ فلا يجلسْ حتى يصلي ركعتين». فإذا دخل والمؤذن يؤذن؛ فيستحب له أن يتبع المؤذن فإذا أتم الأذان وكان له راتبة يصليها كراتبة الظهر –مثلا– فيصلي راتبتَه، وتعتبر تلك الراتبة هي تحية المسجد. أو يصلي ركعتين ينويهما بين الإقامة والأذان؛ كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «بين كل أَذَانَيْنِ صلاةٌ» أي: بين الأذان والإقامة – فيه تغليب لاسم أحدهما على الآخر–. وذلك أن بين الأذان و الإقامة إنما يستحب الدعاء، واحتمالُ استجابة الدعاء فيه كبير، ويكون ذلك الدعاء أقرب للاستجابة إن كان في السجود، فيصلي العبد تلك الركعتين و يكثر الدعاء في سجوده عسى أن يستجيب الله له.

بعد أن يصلي يختار مكانا يكون الأول فالأول، فإن وجد مكانا في الصف الأول فَلْيَأْتِه. قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« لو يعلم الناسُ ما في النداء و الصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يَسْتَهِمُوا عليه لَاسْتَهَمُوا». أي: أنه لو يعلم الناس ما في الصف الأول وإدراك النداء إلا أن يجعلوا بينهم القرعة لما فيهما من الأجر العظيم لَاقْتَرَعُوا كي تكون الصلاة في الصف الأول بالتَّنَاوُب وعلى حسب القرعة وذلك لما فيه من الأجر العظيم. وكثيرا ما يخطئ الناس فيدخلون المسجد مبكرين، والمسجد

فارغ، فترى الواحدَ يصلي في مُؤَخِّرة المسجد ولا يتقدم . الإنسان يتقدم فيقدمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأنه يظفر بالأجر و الفضل. صَلِّ في الصف الأول إن استطعت، و ذلك طبعا دون مزاحمة أو أذية للغير.

إذا أردت الصف الأول اجلس فيه، لا تحجز المكان لا لك و لا لغيرك، لا بمفتاح و لا بشيء آخر. و ليس الصف الأول حِكْرًا لأحد. من جاء أَوَّلًا هو الذي يصلي فيه. و لا يجوز لأحد أن يقول هذا مكاني أو لغيري، من أراد أن يصلي في الصف الأول فعليه أن يأتي مبكرا، لا أن يتأخر ثم يأتي يزاحم غيره، فهذا فيه أذية لإخوانِك و هذا لا يجوز.

إذا جلس بعد ما صلى ركعتين ينوي بذلك الجلوسِ انتظارَ الصلاة، فهو في عبادة ما انتظر الصلاة قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في مُصَلَّاهُ ينتظر الصلاةَ، و تقول الملائكةُ: "اللهم اغفر له، اللهم ارحمه"» وفي حديث آخر قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «و الملائكة يُصَلُّون على أحدِكم ما دام في مجلِسِه الذي صلى فيه يقولون: "اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه"، ما لم يُؤْذِ ما لم يُحْدِث» (٦). وهذا فضل عظيم. صليت ركعتين تجلس تنتظر الصلاة فتأتي الملائكة تدعو لك حتى تُقام الصلاة وإن طال الوقت، تدعو لك وتقول: اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه، و أنت ما جئت إلا لهذا، جئت تطلب الرحمة والمغفرة والتوبة، فإذا بالملائكة تسبقك بهذه الأدعية تشفع لك عند الله

(٦)-متفق عليه

عَزَّوَجَلَّ ، تَتَقَدَّمُك بالدعاء تقول: يا رب هذا عبدك ترك ما ترك من الدنيا و هو جلس ينتظر الصلاة اللهم فارحمه واغفر له و تب عليه. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... ما لم يُؤْذِ ..» أي: ما لم يؤذ أحدا بكلام أو تصرف غير لائق. ولذلك على الإنسان أن يحرص حتى ينال الأجر العظيم وهو في بيت الله أَلَّا يتكلم بأي شيء فيه أذية للخلق، سواء مع من كان معه في المسجد أو من كان خارج المسجد، لا يتكلم لا بغيبة، ولا بنميمة، ولا بكذب، ولا بكلام فاحش أو باطل، ويحرص كذلك أن لا يؤذيهم بتصرف ولا حركة ولا مزاحمة ولا غير ذلك.

ثانيا: قال:«... ما لم يُحْدِثْ» أي: مادام على طهارة. فضل عظيم لا ينقطع ما لم تُقم الصلاة و ما لم يُحْدِثْ أو يُؤْذِ، فلا يشتغل الإنسان وهو في انتظاره للصلاة أو بين الأذان والإقامة بما لا يرجع عليه بالنفع، ولعله يرجع عليه بالضر في الدنيا والآخرة. فلا يتكلم فيما لا ينفعه أو ما لا يرجع عليه بالأجر، لا يكثر الكلام، فكما قيل (من كَثُرَ كلامُه كثُر سَقَطُه، و من كثر سَقَطُه فالنار أَوْلَى به). و خاصة في بيت الله، فالذي يؤذي الخلق داخل بيت الله أعظم جُرْمًا من الذي يؤذيهم خارجه، لأنه في بيت ملك الملوك، وهل يليق أن تتكلم في بيت الملك ومجلسه بكلام غير لائق أو أن تؤذي ضيوفه، هذا ما لا يكون.

فعلى الإنسان وهو ينتظر الصلاة أن يشغل وقته بالدعاء، بالتسبيح، بالاستغفار، بقراءة القرآن استعدادا للدخول في الصلاة، فإذا دخلها كان أفرغ بالَه من كل شواغل الدنيا فيؤدِّيها و قد أثمرت فيه ثمارَها لأنه يؤديها وهو خاشع فيها متدبر

لها وذلك كله لأنه حَضَّرَ نفسَه قبل الدخول فيها، فقَبْلَها دخلها نفسيا، و الآن دخلها بدنيا و روحيا، و قد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه في الحديث الذي يرويه الطبراني مرفوعا قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «سيكون في آخر الزمان قوم يجلسون في المساجد حِلَقًا حِلَقًا، إِمَامُهُم الدنيا ، فلا تُجَالِسُوهم، فإنه ليس لله فيهم حاجة» ، والحديث له حكم الرفع للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأنه من قبيل الإخبار بالغيب ولا مجال للصحابي أن يجتهد فيه. آخر الزمان و الذي تكثر فيه الشرور والعيوب، قال يكون فيه أقوام يجلسون في المساجد جماعات جماعات، فيما يتكلمون؟ يطلبون علما؟ لا، يذكرون الله؟ لا ، قال: «... إمامهم الدنيا..» جُلُّ حديثهم في أمور الدنيا، في النازل والصاعد، فيما يصلح وما لا يصلح، وغير ذلك، قال: «... فلا تجالسوهم ، فإنه ليس لله فيهم حاجة». تأتي إلى المسجد تتكلم في أمور الدنيا، و كأن المساجد لم تجعل إلا لهذا، لا تذكر الله، لا تقرأ القرآن، لا تدرس سنة رسول الله ولا تطلب علما، **فيتبرأ الله منك** و يُحَذِّرُ منك نبيُّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أمر خطير ووَعِيدٌ شديد، فعلى الإنسان الذي وقع في هذا أن يتوب إلى الله ويرجع ويستغفر. أترضى لنفسك أن تكون هذه حالك ديدنك دائما هكذا فيُحَذِّر منك النبيُّ و يقول: «ليس لله فيك حاجة» ؟، يتبرأ الله منك إذا كنت تأتي بيتَه لتملأَ الوقتَ بالكلام الفارغ الباطل؟ المسجد بيت الله، بيت جُعل للتقرب من الله عَزَّوَجَلَّ وذكره وإقامة الصلاة، وليس لشيء من أمور الدنيا كما جاء ذلك في أحاديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. وإن كان الكلام المباح جائزا في المسجد ولكن لا يكون ذلك دَيْدَنَك و عادتَك، فكل كلام ليس فيه ذكر الله

فاجعله مما لا يعنيك وخاصة في المسجد، **ذلك أن كثرة الكلام في أمور الدنيا في المسجد تُذْهِبُ هَيْبَةَ بيت الله من القلب فيصير الإنسان يتكلم في أمور أخطر و أخطر**. نعم قد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يجتمع مع الصحابة بعد صلاة الصبح يتكلمون، ولعلهم يذكرون بعض الأمور التي كانت في الجاهلية فيضحكون ويبتسم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن لا يجعل الإنسان هذا ديدنه وعادته كلما دخل المسجد تجده يتكلم، وقد يؤدي به إلى رفع الأصوات في المسجد والتشويش على المصلين وعلى دروس العلم وحلق الذكر، تدخل المسجد وكأنك في سوق. والغريب أنك إذا أنكرت على أحدهم أجابك أن هذا بيت الله!!! لو كان يعرف حقا أن هذا بيت الله فلِمَ يرفع صوتَه فيه و يؤذي إخوانه، وكأن بيت الله لك أن تفعل فيه ما شئت ولا حرمة له. ذلك كله أنّ المسجد صار عند الكثير منا كالنادي، مكان لقاء واجتماع، لا مكان عبادة و تعظيم، وأنه حقا بيت الله.

وانظر رعاك الله إلى قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا إِنَّ كُلَّكم مُنَاجٍ رَبَّه؛ فَلَا يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، ولا يَرْفَعَنَّ بَعْضُكُمْ على بعض في القراءة» و في رواية: «في الصلاة». إذا دخل أحد المسجد مُتَأَخِّرًا؛ والناس يصلون، ثم إذا أَتَمُّوا قام لِيُتِمَّ ما فاته، فلا يُسْمِعْ غيرَه و لا يؤذي أحدا، بماذا؟ بالقرآن. سماها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إذاية** مع أنه بالقرآن. ليس القرآن هو الذي يؤذي، لكن فعلك هو الذي يؤذي، تشويشك برفع صوتك هو الذي يؤذي، و لو كان بالقرآن فما بالك بغيره من

الكلام الباطل الذي لا خِطام له و لا زِمام؟!!.

فعلينا أن نحافظ على هذه الآداب خاصة داخل المسجد، فإذا أضعناها في المسجد فكيف نتأدب خارجه، أن لا نرفع أصواتنا لا داخل ولا خارج المسجد ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ (٧). أن تُسْمِعَ غيرَك لا حرج في ذلك ، أن تنسى فترفع صوتك لا شيء عليك، أما أن يكون عادةً قبل كل صلاة، بعد كل صلاة، فهذا لا يليق. علينا أن نُذَكِّرَ بعضَنا بعضًا، وأن ينكر بعضُنا على بعض بالتي هي أحسن. فنحن نضيع الأجر العظيم، ولعلنا نخرج من المسجد وقد حُمِّلْنا بالآثام ما الله به عليم.

عن السهل بن يزيد رضي الله عنه و أرضاه أنه قال: « كنت قائما في المسجد فإذا حَصَبَني رجلٌ، فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب فقال: «اذهب فَأْتِنِي بِهَذَين الرجلين» فجئت بهما، فقال عمر:» من أين أنتما؟» قالا: «من أهل الطائف» فقال: « لو كنتما من أهل البلد لَأَوْجَعْتُكُمَا ضَرْبًا، ترفعان أصواتكُمَا في مسجدِ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ". انظر إلى تَفَطُّن عمر إلى أنهما ليسا من أهل المدينة لِأَنَّ أهل المدينة تعلموا آداب المسجد و عَلِموا أن الأصواتَ لا ترفع في المسجد، فَأَدَّبَهما رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

وصلى الله وسلم على نبينا المصطفى العدنان، وعلى أزواجه وأهل بيته وجميع صحبه ومن تبعهم بإحسان، والحمد لله رب العالمين.

(٧)-[لقمان:١٩]

قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله:

أريد أن أدلَّكم على شيء فيه لذَّة كبيرة، وفيه منفعَةٌ كبيرة، وتكاليفه قليلة، فهل تحبُّون أن تعرفوا ما هو؟ هو المطالعة ولقد جرَّبتُ اللَّذَائذ كلَّها، فما وجدتُ أمتعَ من الخلوة بكتابٍ، وإذا كان للناس ميولٌ وكانت لهم رغبات؛ فإن الميل إلى المطالعة والرغبةَ فيها هي أفضلها

فصول في الثقافة والأدب (179).

نسأل الله تعالى أن ينفع بما أوردنا في هذا العدد.

ونرجو من كل من قرأه وانتفع به أن يسعى في إيصاله إلى من ينتفع به، وله في ذلك الأجر من الله تبارك وتعالى .

نسعد باستقبال ملاحظاتكم ومقترحاتكم و مشاركاتكم على بريدنا الإلكتروني:

madjallaherrahma@gmail.com

مجلة الرحمة

جزى الله خيرا من أسهم في نشرها وإيصالها إلى من ينتفع بها



مكتبة مسجد الرحمة ـ شارع خليفة بو خالفة ـ الجزائر العاصمة